



في كلمته للصحافيين في موسكو قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين: "أبلغنا شركاؤنا الأميركيون بموعده ومكان عمل الطائرات الروسية، مع ذلك فقد أسقطت القوات الجوية التركية طائرتنا الحربية، وأضاف بوتين متسائلاً: السؤال المطروح هو لماذا نقلنا هذه المعلومات للأميركيين؟".

اللافت للانتباه أن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) لم تعلق بشكل فوري على تصريحات بوتين، بل اكتفت بالقول إن روسيا قدمت إخطاراً أساسياً للائتلاف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد تنظيم داعش قبل بعض العمليات مثل إطلاق صاروخ كروز في 17 تشرين الثاني/نوفمبر الجاري. لكن البنتاغون صرخ فيما بعد بأن القوات التركية حذرت المقاتلة الروسية 10 مرات قبل إسقاطها، مؤكداً التصريحات التركية بشأن تحذير الطائرة الروسية. كما أشار البنتاغون إلى أن اخترق المقاتلة للأجواء التركية دام لعدة ثوان، بعد أن نفت موسكو حصول أي انتهاك.

الأمين العام لحلف شمال الأطلسي "نس سولتنبرغ" من جهته عبر عن الالتزام بدعم أنقرة بعد أن أسقطت تركيا طائرة حربية روسية قرب الحدود السورية ورفض أي إشارة إلى أن الواقعية حدث خارج حدود تركيا. ولدى سؤاله عما إذا كان هناك احتمال أن تكون الطائرة أسقطت داخل سوريا قال سولتنبرغ: "تنسق التقييمات المتطابقة المتوفرة لدينا مع معلومات وردتنا من تركيا". وأضاف: "نتضامن مع تركيا وندعم سلامة أراضي حليفتنا في حلف شمال الأطلسي".

المشهد أعلاه يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الحرب الباردة والاستقطاب الدولي عاد من جديد، من البوابة السورية هذه المرة، وإن كان كثير من المحللين السياسيين ينفون انتهاءها بالأصل، ويدللون على ذلك بأن الأميركيان بدل أن يفكوا ويتلفوا صواري THEM بالبيستية التي كانت موجودة في غرب أوروبا، قاموا بنقلها إلى دول أوروبا الشرقية، لتصبح على مقربة من الحدود الروسية.

أعتقد أن حرباً عالميةً منخفضة التيرة هي قائمة بالفعل، لكن بوسائل القرن الواحد والعشرين، التي تختلف جذرياً عن حروب القرن العشرين الماضي، وما احتلال روسيا لشبه جزيرة القرم، والحراك الساخن في بحر الصين، والحروب الاقتصادية حيث انخفضت العملة الروسية إلى نصف قيمتها، والحروب الإلكترونية، وتموضع حاملات الطائرات الروسية فوق محطات كابلات الإنترنت في البحر الأبيض المتوسط، ثم تهديد الروس بقطعها، ما هي إلا حلقات في تلك الحرب، التي ربما تشكل إرهاصات لحرب كونية أشد سخونة، وما يجري في سوريا ليس سوى حرب بالوكالة تنفذها الأطراف السورية

وبينما يسعى الأميركيان إلى جر الروس إلى منطقة الشرق الأوسط بغية إبعادهم عن الصين غريم أمريكا وهدفها الأول، وإغراقهم في تعقيداتها من ثورات وحروب وانقلابات عبر تقديم سورية طعمًا مغرياً، يطالب الروس بثمن استراتيجي دوليًّا أكبرً من سورية، ويريدون قبض الثمن بسرعة تجنبهم المزيد من الخسائر، وتمتعهم من الغوص في الوحل السوري.

مقابل ذلك لا يبدو الأميركيان في عجلة من أمرهم، بل لا يخفون أنهم لن يتخلوا لفرض أي حل في سورية، وينهبون أبعد من ذلك بقولهم إنَّ الحرب على تنظيم داعش قد تستغرق عشرات السنين! وهذه رسالة واضحة بأنهم غير مستعدين لدفع الثمن الذي يطلبه الروس، وأنهم ليسوا معنيين بالجانب الإنساني الذي تفرزه الحرب في سورية.

من هنا يذهب البعض إلى القول بأن الروس تعمدوا التحرش بالأتراك بغية فرض أمر واقع يجر الأميركيان وبقية الأطراف على الجلوس معهم على طاولة المفاوضات حول تقاسم النفوذ من خلال سورية. ويدللون على ذلك بأن طائرتين روسيتين اخترقتا المجال الجوي التركي، إدحهما انصاعتاً لتحذيرات القوات الجوية التركية فعادت إلى الأجواء السورية، أما الأخرى فأصررت على اختراق المجال الجوي التركي مما أدى إلى إسقاطها.

التطور الأهم في الاستراتيجية الأمريكية هو السماح للقوى الإقليمية بتأسيس تحالفات محلية، للقيام بعمليات على المستوى الإقليمي، الأمر الذي لم يكن مسموحًا به من قبل.

وأبرز مثال على ذلك عاصفة الحزم، مباركة الأميركيان للتحالف العربي تحت مسمى عاصفة الحزم بهدف التصدي للمشروع الإيراني في اليمن، وكذلك السكوت عن التدخل الإيراني السافر في سورية سواء من خلال قوات الحرس الثوري الإيراني بعناصر إيرانية، أو من خلال مليشيات حزب الله اللبناني وبقية الميليشيات الشيعية التي تجلبها من باكستان وأفغانستان والعراق وغيرها.

بإمكان الروس خلط الأوراق، وقلب الطاولة، وإحداث الفوضى والتخريب والتدمير، لكنهم يظلون عاجزين عن البناء، وحل المشاكل، وتأسيس النظام، وهو أبعد ما يكون عن فرض معادلة سياسية مقنعة مقبولة من جميع الأطراف.

النموذج الروسي للحل، هو الحسم بسياسة الأرض المحروقة وفرض سياسة الأمر الواقع، كما فعلوا في الشيشان، فبعد أن حرقوا عاصمتها غروزني ودمروها، وتركوها أثراً بعد عين، قاموا بتعيين عمليهم قادirov حاكماً قائماً بأمرهم في الشيشان. هذا هو "الموديل الروسي" للحل الذي يسعون لفرضه في سورية. حافظ الأسد أخذ عنهم هذا الموديل في الثمانينات فهدم مدينة حماة بعد أن قتل من أهلها ثلاثة ألفاً ونجح بذلك في إخماد الثورة آنذاك، لكن مياهاً كثيرة جرت من تحت الجسر، وبعد ثورة النت، وتحول العالم إلى قريةٍ صغيرةٍ تنقل أحداثها اليومية فيها بثأْ حيًّا مباشراً فيطلع عليه سكان المعمورة، لا يبدو هذا الموديل قابلاً للتطبيق في سورية على وجه الخصوص.

إن التحدي الأساسي أمام السوريين في هذه المرحلة هو الحفاظ على وحدة وطنهم أولاً، ثم التأسيس لقطيعةٍ أبديةٍ مع الاستبداد والدكتatorية أيًّا كان شكله ومصدره.

المصادر: